الدور الاجتماعى للتعليم فى المجتمعات النائية

« دراسة انتربولوجية اجتماعية ميدانية »

دكتـــور

توفيق الحسينى عبده

كانت عملية التنشئة الإجتماعية فى المجتمعات التقليدية تتم من خلال التفاعل التلقائى عبر الأجيال ، حيث تنتقل العادات والتقاليد ومعايير السلوك المقبولة ، من جيل إلى جيل عن طريق المحاكاه والتقليد . وكانت الأسرة تقوم — إلى جانب وظيفتها البيولوجيه — بوظيفة تربوية محدودة وهى تزويد أفرادها بالمعلومات الأولية عن البيئة المحيطة وتعلم القليل من المهارات والخبرات التى تتطلبها مستلزمات الحياة الضرورية .

أما اليوم وبعد قيام الدول وتعقد المجتمعات أصبحت وظيفة التعليم فى المجتمع المعاصر من أهم وظائف الحكومات ، التى تخصص لها مؤسسات بعينها كالوزارات والمصالح التعليمية المختلفة . وتحرص الحكومات الرشيدة فى الدول المتقدمة على وضع الخطط والبرامج القومية التى تهدف إلى النهوض بالتعليم وتحديثه وتطويره لتحقيق أقصى درجة من الرقى العلمى والتقدم الثقافى والإجتماعى لشعوبها ، كما تخصص الإستثمارات الكافية للإنفاق على التعليم فى مختلف مراحله . كما أصبح التعليم من أهم وسائل التغير الإجتماعى وإنتقال المجتمعات من مرحلة التخلف والتبعية إلى مرحلة التقدم والمدنية مع ما يستتبع ذلك من تغير مصاحب فى النظم الإجتماعية الأخرى . وبذلك تتغير نظم المجتمع فى معية واحدة محدثة إنطلاقة نحو الهدف المنشود .

وتبرز أهمية التعليم فى إحداث الحراك الإجتماعى وإذابة الفوارق بين الطبقات وبذلك تقل التيارات الإجتماعية التى قد توجد بشكل أو باخر وتهدد الكيان السياسى للدول والحكومات وتؤدى إلى الثورات .

فالتعليم هو أحد النظم الإجتماعية التى تمكن الشخص من أن ينتقل من طبقة إجتماعية إلى طبقة أعلى ويحتل منزلة إجتماعية مرموقة . وهذه الحقيقة فى حد ذاتها تلقى عبئاً ثقيلا على نظام التعليم ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إن قدراً كبيراً من مستقبل اجتمع يتوقف على نجاح التعليم فى القيام بهذا الدور .

وإذا كانت الدول المتقدمة تحرص على توفير فرص التعليم لشعوبها وتعمل دائماً على تطويره ، فإن حاجة الدول النامية إلى هذا التطوير تبدو ضرورة لا مفر منها ، للحاق بركب التقدم والإزدهار الثقافى وأيضاًللقضاء على الأمية والتخلف .

إلا أن السياسات التعليمية التى تطبق فى الدول النامية — ومن أمثلتها جمهورية مصر العربية — توضع وتخطط بصورة شاملة ، كما تنفذ أيضاً على المستوى القومى كله دون أن تأخذ فى الإعتبار ظروف وأوضاع المجتمعات المحلية سواء أكانت قروية أم صحراوية والتى يختلف واقعها الإجتماعى والثقافى عن باقى أجزاء الوطن الكبير . ومن ثم أصبحت الحاجة ماسة لوضع خطط وسياسات تعليمية تقوم على دراسات إجتماعية وتربوية حتى يحقق التعليم فى تلك المجتمعات المحلية هدفه المنشود .

لذلك يجب أن تتضمن السياسة التعليمية القومية ، النهوض بالتعليم فى لمجتمعات النائية كمجتمعات الصحارى والواحات ، وهى التى اصطلحت وزارة التربية المصرية على تسميتها بالمناطق ذات الطبيعة الخاصة تميزاً لها عن مجتمعات وادى النيل .

ولا شك أن تلك المناطق النائية قد عانت — لظروف تاريخية — إهمالا ملحوظاً لسنوات طويله ، ولم يتوفر بها القدر الكافى من المرافق والخدمات عامة والتعليم بصفة خاصة ورغم الجهود التى بذلت لإنشاء بعض المدرس الحكومية فى الآونة الأخيرة ، إلا أن المناهج والمقررات الدراسية لهذه المدارس لم تكن متوافقة مع الظروف الإجتماعية والإقتصادية والثقافية

المتميزة التى تسود تلك المناطق ، مما أدى إلى التقليل من أهمية الدور الذى يمكن أن يقوم به النظام التعليمى فى النهوض بسكان مجتمعات الصحارى والواحات .

مجـال البحث :

يشمل البحث المناطق التى يطلق عليها ذات الطبيعة الخاصة أو النائية وهى التى تشكل المجتمعات المحلية التى توجد داخل الحدود الإدارية لست محافظات هى : شمال سيناء – جنوب سيناء – الوادى الجديد (وتشمل الواحات الداخلة والخارجة) – ومطروح (وتتبعها واحة سيوة) – البحر الأحمر – وأيضاً الواحات البحرية التى تتبع محافظة الجيزة فى الوقت الحاضر .

هـدف البحث :

١ – إبراز الدور الهام الذى يمكن أن يلعبه التعليم فى النهوض بالمجتمعات النائيـــة .

ودراسة المشكلات الإجتماعية التى تبدو كمعوقات أو صعوبات تواجه تعميمه وتحديثه وتطويره .

٢ – التعرف على الظروف والأوضاع البيئية والإقتصادية والإجتماعية والسكانية السائدة فى المناطق النائية وعلاقتها بالعملية التعليمية حتى يمكن وضع سياسة تعليمية ملائمة تتفق مع هذه الظروف .

٣ – استطلاع آراء واتجاهات السكان نحو ما يقدم لهم من خدمات تعليمية ، والوقوف على مدى استعداد هم للمشاركة والمساهمة الفعالة مع الحكومة فى تنفيذ برامج النهوض بالتعليم فى المجتمع المحلى .

الفروض النظرية :

تقوم الدراسة الإجتماعية للمجتمعات المدروسة على ثلاثة فروض رئيسية هى :

١ ــ تشكل الظروف البيئية فى المجتمعات النائية أو المنعزلة نمطاً متميز يختلف من مجتمع لآخر . ومن ثم يتطلب الأمر إتباع مداخل تعليمية معينة تتفق مع هذه الظروف .

فالسياسة التعليمية التى تخطط مركزياً لتلائم احتياجات ومتطلبات الحياة فى المجتمعات الحضرية ذات النمط العام ، لاتتفق بالضرورة مع احتياجات المجتمعات ذات الطبيعة الخاصة .

٢ ــ تلعب النظم الإجتماعية دوراً بارزاً فى العملية التعليمية ويتوقف نجاح الخطط والمشروعات التربوية على فهم وإدراك نظم المجتمع وثقافته .

ذلك أن النظام التعليمى جزء لا يتجزأ من البناء الإجتماعى للمجتمع ، ولا بد أن يتوافق هذا النظام مع بقية النظم الأخرى . كما أن دراسة وفهم طبيعة المشكلات الإجتماعية يساعد مساعدة فعالة فى حل العقبات التى تواجه التعليم .

٣ ــ أن مشاركة الأهالى فى محاولة النهوض بالتعليم فى مجتمعاتهم مع الجهود الحكومية أمر يجب أن يؤخذ فى الحسبان ، سواء فى مرحلة التخطيط أو التنفيذ .

وبدون هذه المشاركة يفقد السكان حماسهم لإنجاح المشروعات التى تنفذ فى مجتمعاتهم ، بل يصل الأمر أحياناً إلى معارضتها وتعويق تنفيذها .

طرق جمع البيانات :

جمعت البيانات بالطرق المعروفة فى البحوث الإجتماعية والأنثربولوجية وأهمها :

(ا) إستمارة استبيان عن الواقع الإجتماعى وعلاقته بالواقع التعليمى فى كل منطقة .

(ب) المقابلات الفردية والجماعية مع السكان والمسئولين عن التعليم :

(ج) الإحصاءات والمعلومات المنشورة .

(د) الملاحظة المباشرة من خلال الزيارات الميدانية للمجتمعاتموضوع الدراسة .

موضـــوع البحث

يهتم علماء الإجتماع والأنثربولوجيا عند دارستهم للظواهر الإجتماعية ، بالتعرف على الأبنية الإجتماعية وما يسود فيها من نظم إجتماعية وثقافية ، كما يهتمون أيضاً بتحليل العلاقات المتبادلة بين هذه النظم والـكشف عن الوظائف التى تؤديها .

ومفهوم الوظيفة — كما هو معروف عند علماء الإجتماع والأنثربولوجيا يتناول الأدوار التى يقوم بها النظام الجزئى فى البناء الـكلى الذى هو جزء منه . أو على حد تعريف راد كليف براون (٣) للوظيفة الإجتماعية بأنها « نصيب النشاط الإجتماعى الجزئى فى النشاط الـكلى الذى يؤلف جزءاً فيه . فوظيفة أى ظاهرة من الظواهر — أو أى عنصر من عناصر السلوك — الإجتماعى — هو الدور الذى تؤديه هذه الظاهرة فى الحياة الإجتماعية التى تعبر عن النسق الإجتماعى الـكلى وتصدر عنه . والمقصود بالنسق الإجتماعى الـكلى هنا هو البناء الإجتماعى وكذلك كل الممارسات والمناشط والعادات الإجتماعية التى ينعـكس البناء فيها من ناحية ، ويستمد منها وجوده وكيانه من ناحية أخرى (٤) .

ولمـــا كان التعليم نظاماً إجتماعياً يرتبط بالنظم الإجتماعية الأخرى بعلاقة تأثير متبادل فإن له وظيفة أساسية فى المجتمع . وقد تـكون هذه الوظيفة مثالية بمعنى أنها تشمل الأنشطة التى يفترض أن يقوم النظام بتحقيقها ، وقد تـكون الوظيفة واقعية بمعنى أنها تشير إلى أنشطة أعضاء المجتمع عندما يقومون بأداء أدوارهم الفعلية (٥) .

لذلك فإن دراسة النظام التعليمى فى المجتمعات ذات الطبيعة الخاصة قد تناولت الناحية المثالية للوظيفة بمعنى الدور الإجتماعى الذى يمـكن أن

يلعبه التعليم للنهوض بالمجتمع لو توفرت له مقومات النجاح ، كما شملت الدراسة أيضاً الناحية الواقعية لوظيفة التعليم ، وإلى أى حد يحقق نظـــام التعليم الحالى فى المجتمعات المدروسة الأهداف المرجوة ، وما هى أهم المشـكلات والصعوبات التى تقف عقبة فى سبيل تحقيق هذه الأهداف .

وحيث أن أى نظام إجتماعى لا يمـكن دراسته بمعزل عن النظم الأخرى، كما أن المجتمعات التى شملها البحث توجد فى مناطق مختلفة . لذلك فسوف يقوم تحليلنا للنظم الإجتماعية وعلاقتها بالتعليم من خلال التركيز على ثلاثة موضوعات نحقق فيها الفروض النظرية التى قامت عليها الدراسة ونتبين الدور الإجتماعى للتعليم فى المجتمعات النائية . وهذه الموضوعات تشـكل الخصائص والسمات الرئيسية التى تشترك فيها كل المجتمعات المدروسة ، مع الإشارة إلى الخصائص الفارقة التى قد يتميز بها مجتمع عن غيره وعلاقة ذلك التشابه والإختلاف بالتعليم فى تلك المجتمعات .

الظروف البيئيـــة :

تتميز المناطق ذات الطبيعة الخاصة ببيئة صحراوية متطرفة المناخ محدودة الموارد المـــائية ، ولذلك فهى تختلف إختلافاً بينا عن مجتمعات وادىالنيل.

ونظراً للظروف الطبيعية القاسية وندرة المياة ، تعتمد حياة الإنسان والحيوان والنبات إعتماداً كلياً على المياه المستخرجة من باطن الأرض فى شـكل عيون أو آبار ، وأينما تتوفر هذه المصادر المـــائية فى أى بقعة من الصحراء يستقر السكان ويقيمون مساكنهم أو خيامهم حولها .

وعلى هذا النذر اليسير من الماء يحترف السكان الزراعة البسيطة أو ما يسمى بالزراعة البستانية لمجرد إمدادهم بالمواد الغذائية الأولية التى تستهلك محلياً ، ويحصلون على بقية احتياجاتهم من الطعام عن طريق تبادل ما يتبقى لديهم من محصول البلح أو الزيتون مع الجماعات الأخرى .

أما عندما يتوفر قدر من الأمطار على السواحل الشمالية كما هو الحال فى مطروح أو شمال سيناء ، فيقوم السكان بزراعة فصلية فى موسم الشتاء فقط وأهم محاصيلها القمح أو الشعير وبعض الفاكهة .

أما فى الواحات مثل البحرية وسيوه والداخله والخارجة فتلعب الظروف البيئية دوراً أكبر فى حياة السكان ، فبالإضافة إلى قسوة الحياة وشظفها ، تتميز هذه المجتمعات بعزلة واضحة تبعدها عن تيار الثقافة والمدنية .

وفى البحر الأحمر تشكل الظروف الطبيعية المتمثلة فى الجبال والهضاب المتباعدة عقبات طبيعية أمام استقرار السكان وتواجدهم فى مجتمعات دائمة مستقرة ، اللهم إلا فى مناطق استخراج المعادن والبترول حيث تقام مقرات صناعية يعمل بها بعض السكان بعيداً عن مواطنهم الأصلية . كما أن الأجور العالية التى تدفعها الشركات هناك تجذب عدداً من صغار السن — ومن هم فى سن التعليم للعمل فى المصانع أو مناجم التعدين مما يجعلهم ينصرفون عن الاستمرار فى المدارس هذا بالإضافة إلى ما يتعرض له السكان فى بعض الأحيان من مخاطر السيول المائية الجارفة التى تهدد موارد رزقهم وتدمر ممتلكاتهم ومساكنهم ، أو الجدب الشديد وعدم نزول الأمطار فى أحيان أخرى ، فيهاجرون إلى المدن والموانى كالغردقة وسفاجا والقصير للعمل بالأجر .

وقد شكلت هذه الظروف الطبيعية والبيئية القاسية عقبة هامة أمام انتشار التعليم فى المناطق النائية . كما أن تباعد المقرات السكنية يجعل من العسير على الأبناء السير لمسافات بعيدة للوصول إلى المدارس ، بالإضافة إلى أن وعورة الطرق وصعوبة المواصلات يؤثر تأثيراً مباشراً على انتظام التلاميذ ، الأمر الذى يؤدى إلى تناقص أعدادهم وبخاصة فى السنوات الأخيرة من التعليم الابتدائى .

ثانيا : النظم الاجتماعية :

تلعب النظم الاجتماعية السائدة فى المجتمعات ذات الطبيعة الخاصة دوراً بالغ الأهمية فى العملية التعليمية برمتها . إذ ينعكس هذا الدور سلباً أو إيجاباً

على اتجاهات الأهالى نحو جدوى تعليم الأبناء من الجنسين بصفة عامة ــ هذا من ناحية ــ والتميز بين البنين والبنات فى التعليم من ناحية أخرى .

فبينما يفرض النظام الاجتماعى القبلى السائد فى مجتمعات البدو فى سيناء ومطروح قيوداً على تعليم البنات عامة أو على الأقل حتى سن معينة ، نجد النظم الاجتماعية غير القبلية السائدة فى مجتمعات الحضر كالعريش والواحات تحبذ مبدأ المساواة بين الجنسين فى التعليم فى جميع مراحله .

ولا يعنى هذا بطبيعة الحال تخلف النظام الاجتماعى القبلى عن غيره ، بل إن طبيعة الحياة فى تلك المناطق قد تستلزم هذه القيود . فإذا تغيرت المظاهر الاجتماعية التقليدية التى تعيشها هذه المجتمعات ، فلا بد أن يصاحب ذلك تغير مماثل فى النظرة إلى التعليم ، وهذا ما سوف تحققه التنمية الشاملة التى تعنى بالجانب الاقتصادى للتنمية والجانب الاجتماعى فى وقت واحد .

ويهمنا من دراسة النظم الاجتماعية فى هذا البحث مدى العلاقة بين النظم الاجتماعية والتعليم . وسوف تتضح هذه العلاقة من خلال تحديد المشكلات الاجتماعية التى تؤثر تأثيراً مباشراً على التعليم والتى تتمثل فى :

(أ) الزواج المبكر :

وهى ظاهرة اجتماعية شائعة تعانى منها كل المجتمعات المدروسة إذ يتراوح سن الزواج بالنسبة للفتيان بين ١٦ــ٢٠ سنه . أما البنات فيتراوح سن زواجهن بين ١٣ــ١٦ سنه . ويساعد على تفشى هذه الظاهرة عدم الالتزام بالسن الحقيقى المدون بشهادات الميلاد عند توثيق عقود الزواج ــ بل يكتفى فى كثير من الأحيان بشهادة تسنين طبية يصدرها مفتشو الصحة وأحياناً أخرى بشهادة شيوخ القبائل ، الذين يعلمون تماماً أن البنت لم تصل بعد إلى السن القانونية للزواج .

وقد لا يتم الزواج بحضور الموثق الرسمى « المأذون » إذ من الممكن تبعاً لتقاليد هذه المجتمعات وبصفة خاصة المجتمعات البدوية فى محافظات مطروح وسيناء الشمالية والجنوبية والبحر الأحمر ، أن يتم الزواج بالطرق العرفية التى

لا تتطلب أية إجراءات أو مستندات رسمية ، ثم تحرر وثيقة الزواج بعد فترة من الزمن تطول أو تقصر فيما يعرف باسم « تصادق على زواج » وذلك عندما يمر المأذون الرسمى على الواحات أو النجوع أو المقرات السكنية المنتشرة فى الصحراء مرة أو مرتين فى السنة ، وقد يكون الزوجان قد أنجبا طفلهما الأول .

(ب) تعـدد الزوجات :

تقوم المرأة فى المجتمعات البدوية – بجانب وظيفتها الاجتماعية – بدور هام فى الحياة الاقتصادية ، إذ يحتم مبدأ تقسيم العمل بين الجنسين فى هذه المجتمعات أن تؤدى المرأة الأعمال المنزلية المعتادة وتربى الأطفال وترعاهم وتجمع حطب الوقود وتجلب الماء اللازم للأسرة حتى ولو وجد على مسافات بعيدة . وكلها أعمال يأنف الرجل من الاشتغال بها ولا يؤدى أياً منها ، بل يكتفى بالعناية بقطيع الإبل والغنم ومزاولة حرفة الرعى التى تعد فى نظره أشرف الحرف وأنبلها .

ولما كانت حرفة الرعى تتطلب السير بالقطيع مسافات بعيدة بحثاً عن الماء والكلأ ، فإن الراعى يستعين بالأبناء الذكور لمساعدته فى التجوال بين شعاب الصحراء الوعرة المسالك . وكلما زاد عدد الأبناء استطاع اقتناء المزيد من أعداد القطيع ومن ثم تزداد ثروته ، وتعلو منزلته الاجتماعية بين أقرانه . ولما كانت الزوجة الواحدة لا تنجب إلا عدداً محدوداً ، فإن الرجل يلجأ إلى تعدد زوجاته ليحصل على مزيد من الأبناء وخاصة الذكور وبذلك يزيد من دخل الأسرة الممتدة . وتضطره الحياة الرعوية التى يحياها إلى عدم الاهتمام بتعليم هؤلاء الأبناء ، لأن حرفة الرعى التى يمارسها هو وأولاده من بعده لا تتطلب مهارة أو معرفة يمكن الحصول عليها عن طريق التعليم ، بل إنها تحتاج فقط إلى بعض الخبرات والمعلومات الأولية التى ينقلها السلف إلى الخلف . كما أن حياة التنقل والترحال تؤدى إلى عدم الاستقرار فى مكان معين يسمح للأبناء بتلقى العلم فى المدارس بصورة منتظمة .

(ج) اهمال تعليم البنـــات :

يسود فى كل المجتمعات ذات الطبيعة الخاصة التى شملها البحث النظام الأبوى حيث السيادة والسلطة للذكور دون الإناث : وترتب على النظرة الوضيعة التى ينظر بها إلى المرأة فى تلك المجتمعات إهمال تعليم البنات أو على الأقل الاكتفاء بالتعليم حتى السنة السادسة الابتدائية أو دونها بقليل . وذلك توقعاً لزواجها فى سن مبكرة لرجل سيستفيد بخدماتها الاجتماعية والاقتصادية، كما تحتم التقاليد السائدة عدم خروج البنت وهى فى مرحلة النضوج خشية العار والقيل والقال ، فتمكث فى البيت تساعد أمها فى الأعمال المنزلية وتتلقى مبادئ الحياة التقليدية حتى تتزوج لتمر بنفس دورة الحياة وهكذا .

ثالثا : الســكان :

ينقسم سكان المجتمعات النائية بصورة واضحة إلى بدو وحضر ، فيعيش سكان الحضر فى مدن مستقرة كما هو الحال فى العريش ومرسى مطروح والغردقة وهى غالباً مدن عواصم للمحافظات . حيث تتوفر بعض الخدمات والمرافق وأيضاً الأبنية التعليمية بمختلف أنواعها ، كما يسهل الاتصال بباقى أنحاء الوطن عن طريق شبكة من الطرق التى تربط السكان بالعالم الخارجى ، ولا سيما بعد إنشاء عدد من المطارات الداخلية وانتظام خطوط جوية تربط هذه الأقاليم بالعاصمة . هذا فضلا عن توفر قدر لا بأس به من وسائل الأعلام المختلفة .

ولقد كانت سهولة المواصلات عاملا هاماً أدى إلى زيادة فرص الاتصال الثقافى بين سكان الحضر ، زاد من فعالية احتكاكهم بذلك العدد الهائل من الوافدين من أبناء وادى النيل الذين يعملون بالخدمات ومواقع الانتاج المختلفة بعاصمة المحافظة .

وقد انعكست آثار هذا الاتصال والاحتكاك الثقافى فى النظر إلى التعليم كقيمة اجتماعية يسعى إليها سكان الحضر والوافدون على السواء ، حيث يحرصون على تعليم البنين والبنات دون تميز على الإطلاق فى كل المراحل التعليمية حتى الجامعية . ولذلك فإن المشكلة الأساسية التى تواجه الأجهزة

التعليمية هناك ، هى تلبية احتياجات السكان بتنوع الخدمات التعليمية وفتح المزيد من المدارس المختلفة ، بل وصل الأمر إلى حد المطالبة بإنشاء كليات للتربية كما لوحظ فى مدينة العريش .

أما السكان البدو فهم الفئة الأكثر حرماناً من الخدمات عامة والتعليم بصفة خاصة ، مع أنهم الأولى بالرعاية والاهتمام . وذلك لأن الظروف المعيشية القاسية التى يعيشونها وحياة التنقل والترحال قد باعدت بينهم وبين الاستقرار النسبي على الأقل الذى يتطلبه التعليم ، لأن هذا الاستقرار هو العامل الأساسى فى استكماله واستمراريته .

كما أن حياة الرعى وهى الحرفة الرئيسية — إن لم تكن الوحيدة — لمعظم السكان قد استلزمت تواجد مساكنهم أو خيامهم على مسافات متباعدة فى جوف الصحراء بعيداً عن أية مراكز عمرانية .

ولذلك فإن الكثافة السكانية فى هذه المناطق البدوية ضئيلة جداً إذا قورنت بالمناطق الأخرى . فإذا أضيفت صعوبة المواصلات وعدم توافر طرق معبدة لتبين لنا من أول وهلة الحرمان الشديد الذى يعانيه سكان البادية ، فلا توجد مبان تصلح كمدرسة حتى فى أبسط صورها ، ولا يستطيع المدرس الوافد العيش منعزلا فى مثل تلك البيئات . وحيث أنه لا يوجد من أبناء البدو من يصلح لوظائف التدريس ، فإن المشكلة ستظل قائمة ما لم تتصدى الجهات المعنية لحلها بوسائل غير تقليدية .

ولقد أدرك السكان البدو أنفسهم هذه الصعوبات ، ونما لديهم الوعى بالأهمية المتزايدة للتعليم فى الوقت الحاضر والإيمان بدوره فى تطوير الحياة فى المجتمع البدوى ونظراً لارتفاع مستوى المعيشة نسبياً بين البدو وتنفيذ بعض المشروعات التى عادت عليهم بدخل ميسور ، فقد لمسنا اتجاهات إيجابية نحو المشاركة مع الحكومة فى حل هذه المشكلة ، وأمكن فعلا كما حدث فى سيناء ومطروح التغلب على بعض الصعوبات والعقبات التى تواجه التعليم ، كما بدأ بعض شيوخ القبائل فى إقامة مبان متواضعة تصلح كمدارس ذات فصل واحد،

يجاورها سكن بسيط للمدرس ، وتعهدوا بتوفير مستلزمات الحياة والمعيشة الضرورية لمن يقوم بمهمة التدريس بهذه المناطق النائية .

ولكن هذه الجهود التطوعية ما زالت فى طور النشأة الأولى ، وما تم منها لا يعدو عدداً يسيراً لا يتناسب مع جموع السكان البدو المنتشرين فى الصحراء ولا يرقى إلى مستوى النهوض بالتعليم كمحاولة جادة وصادقة للارتقاء والتقدم لأبناء الوطن جميعاً ، وإيماناً بدور التعليم كعنصر أساسى وهام من عناصر التغيير الاجتماعى واستيطان البدو لخدمة مجتمعهم .

أما سكان الواحات فإنهم يميلون إلى الخصائص والسمات الحضرية أكثر من الخصائص البدوية ، فهم يعيشون حياة مستقرة فى مدن صغيرة كالداخلة والخارجة والبحرية وسيوة وموط ، أو فى قرى لا تبعد كثيراً عن مدن الواحات . ويمارسون الزراعة الكثيفة ويعتمدون على المحاصيل الزراعية اعتماداً أساسياً فى معيشتهم .

ولقد كان لهذا الاستقرار الاقتصادى أثر مباشر على اتجاهات الأهالى نحو التعليم بصفة عامة والمساواة الكاملة فى فرص تلقى العلم بين الجنسين . لدرجة أن نسبة الفتيات فى مدارس الواحات الداخلة والخارجة (٥٢٪) تفوق نسبة البنين (٤٨٪) كما لوحظ أيضاً إقبال فتيات الواحات على التعليم الفنى بأنواعه الثلاثة (زراعى ، صناعى ، تجارى) بل أن الكثير من مشاكل التعليم المختلط من الجنسين لا نجد لها أثراً فى مجتمعات الواحات .

وقد ترتب على ذلك نتيجة هامة ذات دلالات اجتماعية وتعليمية عميقة ، فنظراً لهذا الإقبال المتزايد على التعليم من سكان الواحات — وبخاصة بعد افتتاح أقسام للمعلمين ببعض المدارس تطورت فيما بعد إلى معاهد مستقلة — فقد بدأ الآن عدد خريجى هذه المعاهد ، وبخاصة فى المرحلة الأولى ، يزيد عن حاجة المدارس الموجودة بالواحات ، وبالتالى قل عدد المدرسين الوافدين حتى كاد أن يتلاشى . ومن المتوقع أنه فى غضون السنوات الخمس القادمة ستكون كل مدارس المرحلة الأولى بالواحات قد اكتفت ذاتياً بأبنائها

المعلمين بل قد يضطر بعض هؤلاء إلى العمل فى وظائف التدريس خارج الواحات .

ولقد كان لهذه الزيادة المطردة فى عدد المعلمين المحليين نتائج ايجابية عديدة على العملية التعليمية . كان من أهمها أن المعلم المحلى أقدر على فهم الثقافة السائدة فى مجتمعة من المعلم الوافد ، بالإضافة إلى تجنب مشكلات الاغتراب والإقامة . ومنها أيضاً أن المعلم المحلى يدرك اللهجات المحلية والمصطلحات اللفظية ويعى تماماً دلالاتها الاجتماعية والثقافية والتى تختلف من مكان إلى مكان فى المعنى والمضمون .

وتبدو أهمية هذه المسألة عندما تسود مجتمعاً ما لغة أخرى بجانب اللغة العربية كما هو الحال فى واحة سيوه ، حيث تشكل ثنائية اللغة عقبة هامة فى التعليم الرسمى . إذ يدخل الأطفال المدرسة الابتدائية فى سن السادسة من عمرهم وهم يجهلون تماماً اللغة العربية ، ويزيد من حدة المشكلة أن المدرسين الوافدين يجهلون تماماً اللغة السيويه ، وبذلك يصعب التفاهم والتواصل بين المدرسين والدارسين ، ويؤدى ذلك إلى هروب الكثير من التلاميذ بعيداً عن المدرسة والانصراف عن التعليم كلية .

خاتمـة وتوصيـات

قامت دراستنا للدور الاجتماعى لنظام التعليم فى المجتمعات النائية على أساس المدخل البقائى الوظيفى مع الاهتمام بدراسة العناصر الثقافية العامة التى توثر أو تتأثر بالتعليم . ولما كانت هذه المجتمعات مختلفة ومتباينة من حيث الظروف الطبيعية والنظم الاجتماعية والتركيب السكانى وتأثر ذلك بالأنماط الثقافية السائدة فى كل منها ، فقد استلزمت الدراسة اتباع درجة معينة من التجريد لإظهار المبادئ العامة التى يمكن اخضاعها للتحليل والمقارنة .

ولقد أظهرت الدراسة الأهمية المتزايدة للدور الذى يمكن أن يلعبه التعليم فى المجتمعات ذات الطبيعية الخاصة سواء بالنسبة للفرد أو المجتمع على السواء فبالنسبة للفرد أصبح التعليم وسيلة هامة من وسائل الحراك الاجتماعى

وارتقاء السلم الاجتماعى للراق الأدنى من أفراد المجتمع وبذلك يحتلون مراكز اجتماعية لا تقل مكانة عن أفراد الطبقة العليا والتى كانت إلى عهد قريب تحتكر الوظائف والأعمال المرقومه .

أما بالنسبة للمجتمع فقد تبين إلى أى حد يعد التعليم العامل الأساسى والمحرك الفعال فى أحداث التغيير الاجتماعى المطلوب لكل مجتمعاتنا المحلية . فالشعوب المتعلمة اقدر على التأثير فى الواقع البيئى والاجتماعى والسكانى من الشعوب الأمية . وأكدت الدراسة على أن اهمال التعليم فى المجتمعات النائية جعل سكانها يعتمدون على الطبقة المتعلمة الوافدة من مناطق وادى النيل ، هذا بالإضافة إلى أن عدم توفر الخدمات التعليمية قد جعل بعض سكان ينزحون إلى المدن حيث فرص التعليم متاحة لكل المراحل ، مما أدى إلى التخلخل السكانى الواضح فى المجتمعات النائية وتناقص أعداد السكان بصفة مستمرة ، رغم الزيادة الهائلة التى طرأت على عدد سكان الجمهورية .

ولقد تبين بوضوح أن خطط مشروعـــات التنمية الاجتماعية ومنها التعليم لأبد أن تقوم على معرفة تامة وإدراك كامل بالنظم الاجتماعية السائدة، ولن تتحقق هذه الغاية إلا من خلال الدراسة العلمية الجادة التى تأخذ فى الاعتبار ظروف وأوضاع السكان فى المجتمع .

ورغم الظروف الطبيعية القاسية التى توجد فى هذه البيئات ، فأنه من الممكن تطوير التعليم وتحديثه باستخدام مداخل ومناهج تعليمية تتفق مع الظروف العامة التى يعيشها الناس فى تلك المجتمعات النائية .

وعلى ضوء الظروف المتميزة للمجتمعات التى شملها البحث ، أمكن التوصل إلى التوصيات والتعميمات الآتية :

١ ــ الحاجة الماسة لنشر التعليم بين جميع المواطنين ، كمطلب قومى والنظر إليه كعامل أساسى من عوامل التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة .

٢ ــ أتباع سياسة تعليمية معينة تتفق وظروف السكان البدو المنتشرين فى الصحراء ، ويمكن أن يتم ذلك عن طريقين :

أ ــ التوسع فى أنشاء المدارس ذات الفصل الواحد ، أو الفصول ذات المستويات التعليمية المختلفة فى مناطق تجمع البدو ، وتوفير العدد الكافى من المدرسين المدربين على هذا النوع من التعليم .

ب ــ اقامة مدارس داخلية فى المدن الكبرى للمحافظات النائية كمدينة العريش أو مرسى مطروح ليلتحق بها أبناء البدو ، مع توفر الاحتياجات والامكانيات اللأزمة التى تمكنهم من الأستمرار فى التعليم بجميع مراحله .

٣ ــ ضرورة التوسع الأفقى والرأسى للتعليم الفنى بأنواعه المختلفة (صناعى ــ تجــارى ــ زراعى) وبخاصة فى المحافظات التى تفتقر إلى المدارس والمعاهد الفنية مثل جنوب سيناء والبحر الأحمر والوادى الجديد ومطروح والواحات .

٤ ــ ادخال نوعيات جديدة وغير تقليدية من التعليم فى المجتمعات النائية مثل المدرسة الشاملة ، والمدارس الفنية المستحدثه مثل الفندقه والسياحة وصيد الأسماك والمعاهد البحرية فى المحافظات الساحلية . حتى يواكب التعليم الواقع الاجتماعى المعاش ويتوافق مع النهضة العمرانية الجديدة التى بدأت تشهدها هذه المحافظات فى الوقت الحاضر .

٥ ــ الاسراع بوضع خطة تعليمية متكاملة تهدف إلى توفير أعضاء هيئة التدريس للمدارس الفنية لسد العجز الموجود حالياً ولمواجهة التوسع المرتقب لهذا النوع من التعليم فى المستقبل ، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق تطوير معاهد المعلمين القائمة مع اضافة شعب جديدة وتخصيص حوافز مجزية لتشجيع الالتحاق بهذه المدارس .

٦ ــ وضع مقررات ومناهج ونظم تعليمية لا مركزية تتفق مع الظروف البيئية والاجتماعية والسكانية فى المجتمعات النائية ، وربط المدرسة باحتياجات المجتمع المحلى حتى تقوم المدرسة بنشاط أكبر فى خدمة المجتمع .

٧ – الأهتمام بإعداد المعلم وهو حجر الزاوية فى العملية التعليمية كلها، واستمرار تدريبه وتوفير التسهيلات التى تمكنه من أداء دوره فى المجتمع على وجه أكمل .

٨ – العمل على إزالة المعوقات وحل المشكلات الاجتماعية التى تعترض تعليم البنات ويمكن للأجهزة التنفيذية والشعبية أن تقوم بدور فعال فى هذا المجال عن طريق الرقابة والتوعية والتوجيه .

٩ – شمول المناطق النائية بمشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية حتى تؤدى عوامل التغير الاجتماعى دورها فى إحداث التغيرات الجذرية فى نظم المجتمع ولكى يصبح للتعليم جدوى اقتصادية واجتماعية يسعى إليها السكان .

اولا : بيانات المدارس والفصول والتلاميذ فى المناطق ذات الطبيعة الخاصة
فى العـام الدراسى ١٩٨١/٨٠

المنطقة / المرحلة	شمال سيناء			جنوب سيناء			البحر الأحمر			الوادى الجديد			مطروح			الواحات		
	مدارس	فصول	تلاميذ	مدارس	فصول	تلاميذ	مدارس	فصول	تلاميذ	مدارس	فصول	تلاميذ	مدارس	فصول	تلاميذ	مدارس	فصول	تلاميذ
التعليم الابتدائى	٤٠	٣٠٠	١١٦٠٠	٢٧	١٠٤	١٣٦٧	٢٢	١٦٠	٧٢٥٠	٣٦	٢٦٠	٧٢١٦	٨٦	٤٥٤	١٤١١٥	١٤	٩٤	٢٦٧١
التعليم الإعدادى	١	٨٧	٣٤٧٨	٢	٦	٦٧	٩	١٣٣	٢٨٧٦	١٧	١١٤	٤٥٩٩	١٣	٩٦	٣١١٥	٥	٢٥	٨١١
التعليم الثانوى العام	٤	٥٦	١٧٥٨	١	٣	٥١	٥	٣٩	١١١٦	٤	٤٦	١٣١٧	٥	٣٧	١١٤٠	٢	٩	١٨٦
التعليم الثانوى الصناعى	١	٨	٢٣٨	—	—	—	١	١٧	٥٤٤	١	٣٢	٧٤٩	١	٣	١٠٨	١	٣	٩٦
التعليم الثانوى الزراعى	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١	١٤	٤٦٣	—	—	—	—	—	—
التعليم الثانوى التجارى	١	٩	٢٨٨	—	—	—	٤	٢٥	٧٥٥	٢	٣٢	١٠٠٤	١	٤	٩٤	—	—	—
دور المعلمين والمعلمات	١	٧	٢٢٤	—	—	—	١	١٤	٣٦١	٢	٢٩	٩٨١	١	١٩	٥٥٦	١	١٠	٢٨٥
الجملة	٥٦	٤٦٧	١٧٥٨٦	٣٠	١١٣	١٤٨٥	٤٢	٣٨٨	١٢٩٠٢	٦٣	٥٢٧	١٦٣٧٩	١٠٧	٦١٣	١٩١٢٨	٢٣	١٤١	٤٠٤٩

المراجـع والتعليقات

١ ــ المناطق النائية أو المنعزلة توجد فى المحافظات التى يطلق عليها الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء (محافظات الحدود) وعدد سكانها طبقاً لتعداد ١٩٧٦ هو ٢٣٥٧٥٨ نسمة .

٢ ــ عندما شرعت وزارة التربية فى انتهاج استراتيجية تعليمية جديدة لتطوير وتحديث التعليم فى مصر ، شكلت ١٣ لجنة مختلفة للقيام بهذا العمل القومى الهام وكان للباحث شرف الأشراك فى لجنة برنامج النهوض بالتعليم فى المناطق ذات الطبيعية الخاصة . وقد شكلت اللجنة بقرار من السيد الدكتور وزير التربية والتعليم من أعضاء يمثلون تخصصات مختلفة تشمل أساتذة وخبراء فى التربية والتعليم والجغرافيا والسكان والانثربولوجيا الاجتماعية والاسكان برئاسة السيد وكيل وزارة التربية ومستشار التعليم بمحافظة الجيزة. ويعرض هذا البحث لأهم ما جاء فى هذه الدراسة والنتائج والتوصيات التى أسهم بها الباحث وحده فى المجال الاجتماعى .

٣ ــ لمزيد من التفاصيل عن مفهوم الوظيفية والبناء الاجتماعى فى العلوم الاجتماعية يمكن الرجوع إلى المصادر التالية :

Radcliffe Brown, A.R : Mehtod in social Anthropology O.U.P. 1958.

Evans-Pritchard, E.E. : The Nuer : Adescription Evans-Pritchard, of the Modes of livelihood and political Instittions of anilotic People, O.U.P. 1950.

Evans-Pritchard, : Social Anthropology, Cohen & West london 1951.

٤ ــ أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى (مدخل لدراسة المجتمع) الجزء الأول ــ المفهومات ــ الطبعة الثالثة الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ١٩٦٧ . صفحة ٨٩ .

Merrill, Francise : Society and Culture (2 edi), Prentice-Hall, N.J, 1957 P.330.

٦ ــ تشير نتائج تعداد السكان والاسكان لعام ١٩٧٦ لسكان محافظات الحدود ــ مقارنة لسكان الجمهورية وهى ٠,٦٤٪ بينما كانت هذه النسبة فى تعداد ١٩٦٦ ١,١٧٪ دأما فى تعداد عام ١٩٦٠ فهى ١,١٩٪ أى أن سكان محافظات الحدود فى تناقص مستمر رغم زيادة معدل السكان على مستوى الجمهورية وهــذا مؤشر خطير .

٧ ــ قارن جدول رقم (١) ومنه يتضح أن عدد طلاب دور المعلمين والمعلمات بمحافظة الوادى الجديد وهى التى تضم الواحات الخارجة والواحات الداخلة والفرافرة هم ٩٨١ طــالباً وهو يبلغ ضعف طلاب دور المعلمين والمعلمات بمطروح ، كما يبلغ ثلاثة أضعاف طلاب شمال سيناء والبحر الأحمر والواحات البحرية .

٨ ــ يعنى مفهوم المدرسة الشاملة أن تستوعب المدرسة كل التلاميذ بدون تمييز وبذلك تقضى على طبقية التعليم التى تمارسها كثير من النظم التعليمية كالتفرقة بين التعليم العام والتعليم الفنى بأنواعه . كما تتضمن فكرة الشمول المقررات والمناهج الدراسية المتنوعة والاكاديمية والعلمية والمهنية أو الحرفية لمزيد من التفاصيل عن المدرسة الشاملة أرجع إلى

محمد منير مرسى : دراسات فى التربية المعاصرة ــ دار النهضة العربية ــ الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٧ صفحات من ١٥٢ ــ ١٩٠ .

THE SOCIAL ROLE OF EDUCATION IN REMOTE SOCIETIES
"AN ANTHROPOLOGICAL FIELD WORK STUDY"

BY Dr. TAWLIK EL-HOUSSIENY ABDO.

The objective of this study is to draw attention to the importance of developing education in remote societies. It also aims at defining the social role that could be played by education to upgrade and to develope these societies.

The study includes the communitie s located in six governorates namely : Southern Sainai, Northern Sainai, the New Valley (Kharga and Dakhla Oases), Red Sea, Matrouh (Siwa Oasis) and Giza (Bahrila Oasis).

As it is known, the educational institution has basic functions that are related to the other social institutions, and because the communities included in this study are varied, our analysis of social institutions and their relation to education will be investigated through the study of three major areas :

1. Environmental conditions : which constitute Amajor obstacle that hinders the spread of education. Moreover, they create difficulties for the people to earn their living.

2. Various Social institutions prevail in remote communities are different, tribal system does not feel that education of children could provide positive results, while non-tribal systems encourage the education of both sexes.

The relation ship between education and social institutions could be seen through the study of social problems, such as early marriage, polegmy, and negligence of the education of girls.

3. Populatin in remote communities is divided into nomadic beduins and urban inhabitants.

Urbans are settled in villages and towns where the opportunities of education are available and where people care much about the educa-

tion of their chidren, while bedouins suffer too much from different living conditions that do not provide them with their educational requirements.

This paper provides recommendations and results that have been based on the study of the mentioned above communities and also shows the important social role that could be played by education to develop remote societies.

Besides, the study has proved the urgency for establishing a new educational policy that takes place into concideration the conditions of remote communities that require approperiate approaches. educational.